

بين الحق السلفي الشرعي وبين الباطل الفكري (نقد فكر: سعود الفنيسان)

بسم الله الرحمن الرحيم

أ - أجلب الشيطان بخيله (وبغاله وحميره) على منهاج السنّة السليمة وعلماؤه ودعاته (بعد القرون المخيرة) فسمّاهم حشوية ومشبهة لأنهم أثبتوا صفات الله التي أثبتتها لنفسه في كتابه وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وتجاوز كيد الشيطان وأعدائه التذابيز بالمقاب، فسول لبعض ولادة الأمر المنتمين للسنّة وزين لهم (لأول مرة، ويفضل الله لآخر مرة) أن يلزموا علماء الأئمة بالأخذ بالفكر الماعتزلي (المقول بخلق القرآن بخاصة) واستمرت المحنة بضع عشرة سنة في عهد المؤمن والمعتصم والموثق قتل فيها من قتل وسجن فيها من سجن وجلد فيها من جلد وعلى رأسهم إمام أهل السنة في عصره وما بعده: أحمد بن حنبل رحمه الله. وكان العصر عصر الفكر الأول في تاريخ المسلمين فقد اهتم المؤمن تجاوز الله عنهم جميعا بدراسة العقليات وفلسفة اليونان وعرب كتبهم وبالغ (سير الذهبي)، فلا عجب من اغترابه بمذهب المعتزلة، والأعجب والأغرب: امتحان علماء الأئمة به، بل عامتهم: قال الذهبي في السيرة عن المعتصم: (وامتحن الناس بخلق القرآن وكتب به إلى الأمصار وأخذ به المؤذنين و فقهاء المكاتب، ودام ذلك حتى أزاله المتوكل بعد 14 عاماً).

ب - ولما شك أن الله يبعث في كل قرن سلفياً أو جماعة من السلفيين لتجديد الدين (والمدعوة) بالعودة بهما إلى ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم وأرضاهم، بدليل بشارته النبي صلى الله عليه وسلم بذلك: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)، رواه أبو داود والحاكم والدارقطني (المصححة 599).

ج - ولكنني لم أجد - بعد طول البحث - دولة مسلمة (بعد القرون المخيرة) جدّد الله بها دينه والدعوة إليه غير ثلاث دول أسست على منهاج السلف:

(1) الدولة السعدونية الأولى بين 1158هـ وبين 1233هـ بقيادة المجدد محمد بن عبد الوهاب والإمام محمد بن سعود رحمهما الله، ثم بقيادة الإمام عبد العزيز بن محمد والإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد رحمهم الله وأسكنهم الفردوس من الجنة جميعاً.

ولأول مرة بعد القرون المخيرة تدهم دولة أوثان المقامات والمزارات والمشاهد والأضرحة منذ بنى أولها في ولاية العباسيين ثم البويهيين ثم الفاطميين، ولم يبق وثن واحد في جزيرة العرب المباركة، بل هدمت دولة التجديد والتوحيد الأولى أوثان كربلاء والبصرة والزبير،

وكل الأوثان بين عُمان والعراق وبين الخليج العربي والبحر الأحمر، وقُضِيَ على المبدع وأُحْيِيَت السنن وأُمرَ بالمعروف ونُهيَ عن المنكر، وأقيمت الحدود، واستتب الأمن وساد العدل والحكم بشرع الله. وأُنكرت دولة الظلم والخرافة والابتداع العثمانية المعروف من شرع الله الذي لم تعرفه ولم تعمل به منذ ابْتَدِيَ المسلمون بحكمها المهجى حتى قضى الله عليها بفضلته وجوده، فحاربت الدولة والدعوة السلفية إلى أن ظنَّ ظن السنو أنها قضت عليها؛ فهدمت الدرعية، وقتلت أو نفات مئات العلماء والأمراء، واحتفل المس لاطين وعلماؤهم وعامتهم بقتل الإمام عبد الله بن سعود ومرافقيه، وقبله عبد الرحمن المضايقي رحمهم الله جميعاً وأسكنهم فسيح جناته، وقتل عشرون من آل سعود في معركة الدرعية مدافعين عن الدين والدعوة عوضهم الله الجنة.

(2) الدولة السعودية الثانية بين 1235 وبين 1309 بقيادة الإمام تركي بن عبد الله بن محمد آل سعود ثم ابنه الإمام فيصل بن تركي رحمهما الله وأسكنهما الفردوس من الجنة؛ فثبت الله بهما العهد السلفي الذي بدأه أجدادهما إلا أن حُكِمَ هذه الدولة السلفية لم يسترد المحرمين وما حولهما من الأرض المباركة فعادت إليها أنصاب المزارات أوثان الجاهلية بعد الإسلام، وكانت تسمى قبله أصناماً وألهة.

(3) الدولة السعودية الثالثة من عام 1319 إلى هذا اليوم وإلى أن يحين قيام الساعة بإذن الله، ولو كثره الحزبيون والمحركيون الحاقدون المبتدعة. قاد هذه الدولة والدعوة السلفية الملك عبد العزيز بن عبد الرحمان آل سعود فطهر الله بها بيته ومسجد نبيه (وما حولهما من كل اتجاه) من الشرك وما دونه من المبدع التي أعادها إلى الأرض المباركة العهد العثماني القائم على الظلم الديني والديني، وبهذه الدولة المباركة بقيادة الملك عبد العزيز وأبنائه معه ومن بعده أحل الله الأمن بعد الخوف والتوحيد بعد الشرك والمسنة بعد الابتداع أثابهم الله الفردوس من الجنة، ولما تزال جزيرة العرب المشمولة بحكمهم خالية من الأنصاب والمزارات والمضرحه، ومن زوايا الصوفية وبدعها، حاكمة بشرع الله في كل مسائل الاعتقاد والعبادات وجيل المعاملات ولم تناقضها في هذا المجده دولة مسلمة منذ ألف سنة.

(د) ما تقدم في (أ و ب و ج) مقدمة طويلة لابد منها لهذا المقال القصير؛ فقد دلني أولادي (استعملهم الله فيما يرضيه من الذب عن دينه وأوليائه) على محاوره في إحدى المقننات الفضائية بين من سمي د. سعود الفنينسان وبين د. عبد العزيز الريس المشرف على الموقع السلفي: الإسلام العتيق اختارته القننة ممثلاً لمن نبزهم أحد سكارى الفكر المحركي بوصف (غلاة الطاعة) بعد وصف سلفهم بالحشوية ثم الوهابية ثم الجامية. وكان المعتزلة والأشاعرة - رغم ضلالهم - أقرب إلى العلم والشرع والعقل والخلق؛ فلربما كان دافعهم: نفي مشابهة صفات الله لصفات خلقه فأزلهم الشيطان عن الفقه إلى الفكر (ومنه شعر النصارى). أم وصف الدولة السلفية بالدوهابية ووصف مؤيديها السلفيين بالجامية وغلاة الطاعة وبينهما المرجئة فلا أظن مقترية مهما بلغ بهم الجهل يعتقدون أنهم صادقون في نبز السلفيين ودولتهم بأحد هذه الألقاب، ولعل دافع أوائلهم ما اعتادوه من التعبد بالبدع (وأشنعها وثنية الأنصاب والمضرحه) والخرافة، كما قال سلفهم من المشركين: (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون). ولعل دافع المحدثين منهم: خلخله الأساس الشرعي السلفي الذي قامت عليه دولة التجدد والسنة (وتوحيد الأمة على أفراد الله بالعبادة ونفيها عما سواه وعلى الالتزام بالدليل كما فهمه الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم) فإن الحزب الشيطاني الإخواني حذف أفراد الله بالعبادة ونفيها عن غيره من كل تعاليمه: واجبات البيعة (38) ومطالبه من الدولة (50) ومهلكاته (10) ومنجياته (10) وأركان البيعة (10) وواجباته العامة (10) ومواقباته (10) ووصاياه (10) رغم أن أول وصايا اليهود والنصارى اليوم منذ اتفقوا عليها: (لا تعبد إلاهاً غيري، لا تصنع تمثالاً فتسجد له، لا تقتل، لا تزن... الخ)، ورغم أن تعاليم الحزب المضال أوصت بتخفيف شرب الشاي والقهوة وتوحيد الزني وتنظيم المصايف وكأنها استقصت كل شيء. يقول الشيخ د. محمد سعيد رسلان شيخ الدعوة السلفية في مصر: (قال لهم الله: إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) فقالوا: (لا. حتى يغيروا ما بحكاهم)، وقال راعي الدعوة السلفية الأمير ذابف رحمه الله وأسكنه الفردوس من الجنة: كل الفتن التي حدثت في بلادنا أو في أي بلد مسلم آخر فإنما حركها فكر الحزب الإخواني. وأشهد أن الله وفقه للتصريح بما أسره كل سلفي حاكماً أو محكوماً، وكان الحزب المضال شراً على منهاج السلف والمصطفين له، وعلى العلم والعمل الشرعي والدعاة إليه المنبوزين بعلماء الحيض والنفاس وبعلماء ودعاة السلفان.

هـ - لن ألوم أحداً من المحركين الذين أيّ دوا باطل الفكر والمتناهب بالألقاب فلم يدع مدع منهم أو من غيرهم اتصافهم بشيء من العلم الشرعي، ولكني ألوم من يظهر أنه تولى كبره منهم فقد تعلم في مدارس الدولة السلفية حتى حصل على حرف (د) سواء فهمه الأغلبية على اللفظ الأعجمي (دكتور) أو فهمه الأقلية على اللفظ العربي (دجل) فأطعمه الله بالدولة السلفية من جوع وآمنه من خوف وعلمه من جهل وهداه من ضلال، ثم يلتقط عدوى الحزبية الشيطانية فيجتاله الفكر عن الفقه، والمعصية عن الطاعة، بل الجهل عن العلم وكنت أمل أن له من المخلوق ما يقاوم به عدوى الفكر والضلال، ولما فإني لا أفاجأ بما تفعله الحزبية الشيطانية في عقول من يلتقطون عدواها وسمتهم وخلقهم عامة منذ أن زار ثلاثة من جماعة التبليغ أحد كبار قادة الحزب المضال في إحدى الدول المجاورة لاستماتته أو اتقاء نقده للجماعة بأنهم لا يسألون العلماء، فسأله أحدهم (تخلّة قسم) عن ما يسن للمضحي في العشر، فوجئ ش. أ. د. عميد كلية الشريعة بمثل هذا السؤال الذي لم يرد له الجواب فاضطرب، ورأى أحد زواره الفتح عليه فقال: (لا يأخذ من ظفريه ولما شعره شيئا) فضحك ش. أ. د. العميد وقال: (المصحيح لا يأخذ من ظفر الخروف ولما شعره شيئا)، وهو معذور بأن كل فكره منصرف للسيااسة أو التيااسة التي افتروا على المدين أنها منه. ولكن نسختنا من الضائر تسيد إلى العلم الشرعي وإلى الإسلام والمسلمين أكثر من مجرد الخلط بين المضحي المتطوع والأضحية الخروف:

(1) إفتري على السلفية والسلفيين بدعواه أن الانتساب إلى المسلف بدعة محدثة لم تُعرف من قبل، وأنّه لا يدل على فضل لأن أبا جهل سلفي،

وقد زودني أولادي وفأفهم الله لرضاه بمقال للشيخ العلامة السلفي الداعي إلى الله على بصيرة / بدر بن علي بن طامي العتيبي نشره على موقع الإسلام العتيق نقل فيه بضعة عشر نصا يثبت الانتساب للسلفية استلها من كتابه (السلفية منهج شرعي ومطلب وطني) أقدمها: لأبي بكر بن حيان في (أخبار القضاة) وكانت وفاته عام 306، (وقالوا): وكان إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة سلفيا صحيحا).

وفي مجموع الفتاوى لابن تيمية رحمه الله: (لا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه واعتزى إليه، بل يجب قبول ذلك منه) 149/4. وذكر المزركلي في الأعلام عن محرر بن خلف البكري (ت 413): (وكان سلفيا سمع في أحد أسواق القاهرة رجلا يسب المسلف فأمسك بطرف ثوبه وصاح أيها الناس، فتهاووا على الرجل حتى مات). وذكر الذهبي في تذكرة الحفاظ عن ابن المصالح: (وكان سلفيا حسن الاعتقاد). وعن يعقوب الفسوي في سير أعلام النبلاء: (ما علمته إلا سلفيا). وعن الدارقطني في السير: (لم يدخل في علم الكلام ولما الجدال بل كان سلفيا). وعن محمد بن يحيى الزبيدي في السير: (وكان حنفي سلفيا). وعن أبي هبيرة يحيى بن محمد الشيباني في السير: (كان سلفيا أثريا). وعن أحمد بن عيسى المقدسي في السير: (وكان ثقة ثبتا ذكيا سلفيا). وعن أحمد بن هارون النقري المشاطبي في المعبر: (كان زاهدا سلفيا). وعن موسى بن إبراهيم بن بشير في معجم شيوخه: (وكان متواضعا سلفيا). وعن أبي الفضل القضاعي في معجم شيوخه: (وكان دينا خيرا سلفيا). وعن يحيى بن إسحاق الشيباني في معجم شيوخه: (وكان متواضعا سلفيا). وقال الصفدي في الوافي عن عبد الرحمان بن محمد الحنفي: (وكان سلفيا). وقال الذهبي في السير: (فالذي يحتاج إليه الحافظ أن يكون... سلفيا). وزودني أخي حسين الأثيوبي بعدد من هذه المنصوص، فلعل الله أن يجزيهم جميعا خير الجزاء وأجزل الأجر والثواب، وأن يزيدهم من فضله.

(2) ولو صدق بعض كلامه بعضا فلربما أنكر الانتساب إلى الإيمان والنسبة إلى الكفر مستدلا بقوله تعالى: (يؤمنون بالحبث والمطاغوت) ويحدث: (أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر...).

(3) وافترى على مصطلح الحديث (وليس من أهله) فأطلق القول بأن الحديث الضعيف لا يتقوى بحديث ضعيف (فهو صفر صفر صفر) وأنما يتقوى بحديث صحيح، ولم يخطر بباله - والله أعلم - أنه جاهل بالحديث وعلومه وأن عليه أن يسأل أهل العلم قبل الخوض فيه. وقبل ربع قرن كان المسكين عافانا الله مما ابتلاه الله به أعقل في مناقشة هذا الأمر مع من هو خير منه، إذ قال (لا أعلم أن الحديث الضعيف يتقوى بمثله).

(4) وافترى على الصحيحين فادعى أن أثر أسامة رضي الله عنه: (لقد كلّمته [الأمير] فيما بيني وبينه دون أن أفتح أمراً لا أحب أن أكون أول من فتحه) فأنكر بإصرار وجود هذا الأثر في الصحيحين وأعله بالانقطاع، ولو فرض جدلاً عدم صحة الأثر ففي الباب أكثر من أثر بل حديث صحيح يمنع الغوغائيين من الإنكار العلني علي ولي الأمر (وهو السبب الأول في المنبذ بغلاة الطاعة). ومن أراد معرفة الحق فليقرأ كتاب (معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة) للعلامة السلفي عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم رحمه الله وأثابه. والحديث الوحيد الذي أقر بتخريجه في الصحيحين عن عبادة بن الصامت لم يردعه عن غيه ولعل كثيراً من الناشطين لفعّل المشريش رقبون بأكثره): (بإيعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السلم مع الطاعة في المنشط والمكروه وأن لا ننازع الأمر أهله) [وفي رواية مسلم: في العسر واليسر، وعلى أثره علينا] وأن نقول بالحق حيثما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم، وأهل الفتنة يأخذون آخر الحديث بفهمهم القاصر وما يردونه إلى فهم السلف كما بيّنه بالتحقيق والتفصيل العلامة عبد السلام بن برجس في كتابه (معاملة الحكام من صفحة 39 إلى 58) علي الحديث: (من أراد أن ينصح لسلطان بأمر فلا يبذل له علانية، ولكن ليأخذ بيده في خلّو به، فإن قبّل منه فذاك، وإلّا كان قد أدى الذي عليه له) صححه البرجس والدباني، وأورد عدداً من آثار سلف الأمة والمتابعين لهم بإحسان من القرن الأول إلى الأخير. وعلماء السلف يأخذون بكل الحديث ويضمون إليه أثر أسامة رضي الله عنه الذي أنكره هذا المفتون، والحديث الذي سبق ذكره ضمن الأثر عن عياض بن غنم رضي الله عنه: فيسميهم أهل الفتنة: (غلاة الطاعة). وهكذا يكتفي أهل الفتنة الناشطون للشر، والحزبيون والحركيون بجزء من حديث علي فهمهم القاصر ويعرضون عن بقية الأحاديث والآثار التي لا تؤيد باطلهم من أي وجه، وكأنهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، وما جزاء من يفعل ذلك منهم إلا خزي في الدنيا، وهم في الآخرة تحت مشيئة الله إما يعذبهم أو يتوب عليهم، ولعل ظهور جهل كبارهم من خزيمه وفضيحتهم الدنيوية هداهم الله وكفى الإسلام والمسلمين شرهم.

(5) وافترى على إمام المحدثين السلفيين بأنّه صحح أو حسن أحاديث ضعيفة بغير حق معتمداً على فريته على ظنه المريض المزمن أن الحديث الضعيف لا يتقوى إلا بحديث صحيح [أو حسن لذاته]. وما لجدّة الحزبيين وعلم الحديث وهم في الرواية والمدراية والعمل به من أبعد الناس عنده؟ ولم أر في حياتي إخوانياً يعتمد على الدليل والفقه في الدين من أهله مثل أو أقل من اعتماده على الفكر التائه من أمثاله، غير عمر الأشقر رحمه الله وكنت آخذ عليه عدم تركيزه على أفراد الله بالعبادة ونفيها عن سواه مثل تركيزه على ما سمي (توحيد الأسماء والصفات) فما دونه، ولكنني عجبت لإخواني يهتم ولو بهذا المقدر من الدين الحق حتى زارني قبل أيام سلفي من تشاد كان يدرس للدكتوراه في الجامعة الأردنية وجيل مدرسيها من الحزبيين فشهد لعمر الأشقر أنه كان يحذره من الوقوع في حبال الإخوان والتبليغ المضلة.

(6) واتهم من ينتمون إلى السلفية بأنهم مرجئة ابتدعوا الانتماء السلفي. وما لجدّة الفكريين والاعتقاد، وقد تكفّل حزب الإخوان وأفراخه بتجهيل هذه الأمة في الاعتقاد - كما أشرت قبل - فما دونه، وهذا أحدهم (محمد بن المختار الشنقيطي) مهاجر من بلاد المسلمين إلى بلاد العلمانيين يروي عن أمثاله ممن يصفهم (خيرة العقول المسلمة) وبعضهم نصارى أو زنادقة أو يهود أو ملاحدة (ومنهم: إقبال الذي يروي عنه مالك بن نبي، أن المطلوب ليس العلم بالله بل الاتصال بالله والانكشاف للحقيقة الخالدة تجلّي الذات العلوية). وفكر بلزك. وظن عبد الله نصيف: أننا نحن المسلمون أشد أعداء الإسلام: لا تزال نحارب المعتزلة بينما يجب علينا التعامل مع الأفكار الطورية. والغنوشي الذي يصف بعض علوم الاعتقاد - الرد على المعتزلة والفلاسفة والمأشاعرة بخاصة - بالزيف ويحكم عليها بالبدن. وفكر فالر ضابط وكالة الاستخبارات الأمريكية. وبورغا الخبير الفرنسي في الحركات الإسلامية. والحكيم الإفريقي [القسيس] نلسن مندلا. وأسخطهم عبد الله الحامد). فلماذا يهتم الفكريون والحزبيون بتهمة الإرجاء مما حكم عليه الغنوشي بالزيف والمدفد؟ أهو استغلال باطل للتهم الباطلة سلاحاً ضد السلفيين ودولتهم السلفيّة، وهل بلغ بهم الضلال إلى العجز عن أن يكونوا كمن قال الله فيهم: (وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين)؟ أشهد لله شهادة حق أن كل من اتهم بالإرجاء من السلفيين بريء منه،

وإنما الأمر كما قال ابن تيمية رحمه الله عن اتهام بعض السلفيين الأوائل في القرون الخيرية بالتهمة الباطلة نفسها وأن الأمر لا يتجاوز المخطأ اللفظي أو الاختلاف اللفظي، فلا يوجد سلفي يقول بقول المرجئة: إن الإيمان تصديق بالقلب وحده وما تصديق بالقلب وقول باللسان وحدهما، وإنما اختلفت ألفاظ بعضهم في التعبير عن إضافة العمل إلى التصديق والقول وهو ما يؤمن به كل سلفي. ولما يوجد سلفي يقول اليوم أبداً بقول المرجئة أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، ولما يقول سلفي أبداً أنه لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة كما قال بعض المرجئة. وإن ما ساء الحزبيين الجهلة أن السلفيين لا يكفرون أهل القبلة (الحكّام بخاصة) بمطلق المعاصي والكبائر، فاستغلوا فهم بعض العلماء لما قاله أو كتبه الألباني والعنبري والحلبي والريسي مثلًا. والعلماء أهل للاجتهاد مأجورون أجريين إن أصابوا وأجراً إن أخطأوا، وليس للفكرين إلا الوزر إلا إن تجاوز الله عنهم، كفانا الله شرهم. وهذا المفتون يجادل في: من هو ولي الأمر، ولما يرضى أنه هو خادم الحرمين ونوابه في المناطق، فيستكثرهم على النصيحة الخاصة وهو وحزبه لا ينكرون على الملايين دعاء أوثان الموتى في مصر والسودان والشام والمغرب وكل بلاد المسلمين عدا السعوية التي استقل أمرؤها أكثر من قرنين بتطهيرها حتى اليوم من الأوثان والبدع، وبهذا نصرهم الله على هؤلاء المخوارج منذ تسلّوا إلى بلاد ودولة التوحيد والسنّة، وقبلهم هزم الله العثمانيين والخميين والمدويش الجد والحفيد وغيرهم.

كتبه/ سعد بن عبد الرحمن المحصين المحصين 1434/04/23 هـ